المحاضرة الحادية عشرة

مقاطعة بني هاشم والحصار في الشعب

لما ايقنت قريش ألا جدوى من محاولتها، إذ عاد وفدها – الذي قصد ابي طالب (ع) بغية المساومة– خائبا، فقرر زعماؤها ان يضيِّقوا على من عندهم من المسلمين بالمأكل والمشرب، وأن يحظروا كل انواع التعامل الاجتماعي معهم، لم يتخل ابو طالب وبنو هاشم عن نصرة النبي الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)، فكتبوا صحيفتهم بالمقاطعة الشاملة في البيع والشراء والمخالطة والزواج، ووقعت الصحيفة من قبل اربعين زعيما من زعماء قريش.

يصوّر لنا أمير المؤمنين (ع) ذلك الحصار في شعب ابي طالب قائلاً : " **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْعَذْبَ وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّه لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِه، والرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِه، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الأَجْرَ، وكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ، ومَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيه بِحِلْفٍ يَمْنَعُه، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَه فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ**".

يكشف لنا الامام امير المؤمنين (ع) عن المحنة التي واجهت رسول الله وبني هاشم، إذ كان النبي معرّضا للقتل بعد اجماع القرشيين على ذلك، فنجد امير المؤمنين (ع) يشير الى ذلك قائلا: " **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا** "، ويذكر الشراح حادثة تختص بهذه الاشارة منه، إذ روي " ان الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، وتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد رأينا محمدا قمنا اليه قيام رجل واحد، فلا نفارقه حتى نقتله. قال: فأقبلت فاطمة ∃ حتى دخلت عليه(صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبرته بقولهم، وقالت له: لو قد رأوك لقتلوك ، وليس منهم رجل الا وقد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنيتي! أريني وضوءا ، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه غضوا ابصارهم ثم قالوا: هو ذا ، ثم لم يقم اليه منهم احد، فأقبل(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قام على رؤوسهم، فاخذ قبضة من تراب ، فحصبهم بها ، وقالت: شاهت الوجوه ! فما أصاب رجلا منهم شيء منه إلا قتل يوم بدر كافرا ".

ان هذه الحادثة ما هي الا نموذج ومثال لما تعرّض له النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لمحاولة القتل، والمعلوم أنه قد تعرّض لذلك عدة مرات، وإن اشارة الامام امير المؤمنين (ع) بقوله: " **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا** " هي إشارة اجمالية ربما عنى بها كل تلك المحاولات التي رامت قتل النبي، ومنها ما جرى في شعب ابي طالب، فقد كان(ص) عرضة للقتل في كل ليلة، حتى روي " فلما اجمعت قريش على قتل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وكتبوا الصحيفة القاطعة ، جمع ابو طالب بني هاشم ، وحلف لهم بالبيت والركن والمقام والمشاعر

في الكعبة، لئن شاكت محمدا شوكة لاثنين عليكم، او لاتين عليكم، وأدخله في "الشعب" وكان يحرسه بالليل والنهار قائما على رأسه بالسيف ".

ويروى أن ابا طالب كان يعمد الى تغيير محل مبيت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الى عدة أماكن في الليلة الواحدة، ويأمر ابنه امير المؤمنين (ع) بالمبيت في فراشه(صلى الله عليه وآله وسلم) يفديه بنفسه حفاظا على سلامته.

واما عن اشارة امير المؤمنين (ع) إلى حادثة حصارهم في شعب ابي طالب فظاهر في قوله :" **وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْعَذْبَ وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ**" فقد هموا بايقاع الشرور بهم ، ومنعوهم طيب العيش " فضاق الامر ببني هاشم، وعدموا القوت، الا ما كان يحمل اليهم سراً وخفية. وهو شيء قليل لا يمسك ارماقهم، واخافتهم قريش، فلم يكن يظهر منهم احد، ولا يدخل اليهم احد، وذلك اشد ما لقي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته بمكة". وعن قوله (ع) " **واضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ** " فقد يحمل على معنين: **<u>الاول:</u>** كان مثلاً ضربه لخشونة مقامهم، وشظف منزلهم ، أي كانت حالهم فيه كحال من اضطر الى ركوب جبل وعر. **<u>الثاني:</u>** يجوز أن يكون حقيقة لا مثلا، لان الشعب الذي حصروهم فيه مضيق بين جبلين.

وفي هذه المرحلة العصيبة برز **<u>دور ابي طالب</u>** في اروع المواقف الايمانية الصلبة التي كانت ذات اثر فعال في اجتياز المحنة وتثبيت أركان الدعوة الاسلامية. ولعل اشارة الامام امير المؤمنين (ع) السابقة: " ، **فَعَزَمَ اللَّه لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِه، والرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِه** " ، ينطبق على موقف ابيه وموقفه هو (ع) في تلك المحنة – اذ فدى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه في مبيته في تلك الليالي في محل مبيت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) معرض نفسه للقتل في اية لحظة، كما أشرنا إلى ذلك سابقا ، وفي هذا الموقف الفدائي منه وما عداه من مواقف على طول الخط الرسالي الى جانب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) تتجسد معاني من مقولته الشهيرة : " **أَمَا واللَّه إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا عَجَزْتُ ولَا جَبُنْتُ** ". وفي قول آخر يقول (ع): " **ولَقَدْ وَاسَيْتُه بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ ، الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ ، وتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّه بِهَا**". وما مواقفه الا صورة مجسدة لشجاعته النادرة في دفاعه عن حياض الاسلام وشخص النبي الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد اشار الامام امير المؤمنين (ع) إلى أن **<u>موقف بني هاشم</u>** كان متميزا في دفاعهم عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مؤمنهم وكافرهم، اذ يقول مبينا دافع كل منهم في مواقفه الدفاعية عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): " مؤمننا يبغي بذلك الاجر، وكافرنا يحامي عن الاصل ". وفي هذا دلالة على ان بني هاشم الذين حصروا في شعب ابي طالب كانوا صنفين:

مؤمنين وكافرين ، وقد اختلف الشراح في بيان شخوص كل صنف. فاما الصنف الاول وهم الذين آمنوا بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حق الايمان، فانما هم يطلبون الاجر من الله في الصبر على تلك المحنة ومواساة النبي الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) والدفاع عنه . واما عن دافع الصنف الثاني وهم الذين بقوا كافرين على دين قومهم، ولكنهم يذبون عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ويحامون عنه ويدافعون عنه لا من حيث العقيدة، بل من حيث الحمية للنسب الواحد والاصل المشترك.

وفي معرض التميز لموقف اهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عمن سواهم في تلك الفترة القاسية يقول امير المؤمنين (ع): " ومن اسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه، او عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان آمن ". فتفريقه بين الصنفان قائم على أن بعضهم كانوا على حلف وعهد من الكفار، فمن أجل ذلك كانوا آمنين، وبعضهم الآخر لم يكن لهم العهد لكنهم كانوا ذوي عشيرة تقوم دونهم وتمنعهم الاعداء، فالمراد ان البلية انما كانت متوجهة اليه (ع) والى سائر بني هاشم وبني المطلب لم يكونوا على عهد، ولم يكن لهم من يقوم دونهم، وبذلك يعلم فضيلتهم في حماية رسول الله وذبه عن كيد الاعداء. ثم إن الله تعالى سلّط على صحيفتهم التي كتبوها الارضة، فلم تدع الا (باسمك الله فاغفر)، فاخبر الله عز وجل بذلك رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فاخبر رسول الله عمه ابا طالب، فخرج ابو طالب في جماعة من رهطه ، حتى وقف على قريش وطالبهم باخراج الصحيفة، واراهم صنيع الله بها وصدق رسوله ﷺ فبهتوا وخابوا واخزاهم الله سبحانه وتعالى .